الفصل الثالث

هكذا دافع عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

لما رأى المشركون أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تجهزوا وخرجوا وحملوا وساقوا الذراري والأطفال والأموال إلى الأوس والخزرج وعرفوا أن الدار دار منعة، وأن القوم أهل حلقة وشوكة وبأس، فخافوا خروج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم ولحوقه بهم، فيشتد عليهم أمره فاجتمعوا في دار الندوة، ولم يتخلف أحد من أهل الرأي والحجا منهم ليتشاوروا في أمره، وحضرهم وليهم وشيخهم إبليس في صورة شيخ كبير من أهل نجد مشتمل الصماء في كسائه، فتذكروا أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأشار كل أحد منهم برأي والشيخ يرده ولا يرضاه، إلى أن قال أبو جهل: قد فرق لي فيه رأي ما أركم قد وقعتم عليه، قالوا: ما هو؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة من قريش غلامًا نهدًا جلدًا، ثم نعطيه سيفًا صارمًا فيضربونه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل فلا تدري بنوعبد مناف بعد ذلك كيف تصنع، ولا يمكنها معاداة القبائل كلها ونسوق إليهم ديته، فقال الشيخ: لله در الفتى، هذا والله الرأي، قال: فتفرقوا على ذلك، واجتمعوا عليه، فجاءه جبريل بالوحي من عند ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى فأخبره بذلك، وأمره أن لا ينام في مضجعه تلك الليلة.

وجاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أبي بكر نصف النهار في ساعة لم يكن يأتيه فيها متقنعًا فقال له: «**أخرج من عندك**» فقال: إنما هم أهلك يا رسول الله، فقال: «**إن الله قد أذن لي في الخروج**» فقال أبوبكر: الصحابة يا رسول الله؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نعم**» فقال أبوبكر: فخذ بأبي وأمي إحدى راحلتيَّ هاتين، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بالثمن**» وأمر عليًا أن يبيت في مضجعه تلك الليلة.

واجتمع أولئك النفر من قريش يتطلعون من صِيْرِ الباب ويرصدونه ويريدون بياته ويأتمرون أيهم يكون أشقاها، خرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذره على رؤسهم وهم لا يرونه وهو يتلو: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس: ٩] ومضى رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر، فخرجا من خوخة في دار أبي بكر ليلًا وجاء رجل ورأى القوم ببابه فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمدًا، قال: خبتم وخسرتم قد والله مر بكم وذر على رؤسكم التراب، قالوا: والله ما أبصرناه، وقاموا ينفضون التراب عن رؤسهم، وهم: أبو جهل، والحكم بن العاص، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، وأمية بن خلف، وزمعة ابن الأسود، وطعيمة بن عدى، وأبو لهب، وأُبي بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، فلما أصبحوا قام على رضي الله عنه عن الفراش فسألوه عن رسول الله ﷺ، فقال: لا علم لي به، ثم مضى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى غار ثور[1].

جن جنون أبي جهل وأصحابه عندما أفلت منهم النبي ﷺ، فضربوا عليًا، رضي الله عنه، وسحبوه إلى الكعبة، وحبسوه ساعة، علهم يظفرون بخبرهما[2].

نام علي رضي الله عنه في فراش النبي ﷺ وهو يعلم أنه ربما تجهز عليه قريش فتقتله الله أكبر حقًا إنهم دافعوا عن النبي ﷺ.

هكذا دافع أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ

ذكر الحاكم في «مستدركه» عن عمر قال: خرج رسول الله ﷺ إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه حتى فطن له رسول الله ﷺ فسأله فقال له: يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك ثم أذكر الرصد

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٧٧).

(٢) انظر «تاريخ الطبري» (٢/ ٣٧٤).

فأمشي بين يديك فقال: «**يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني**» قال: نعم والذي بعثك بالحق[١].

ولما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: والله لا تدخله حتى أدخل قبلك، فإن كان فيه شيء أصابني دونك، فدخل فكسحه، ووجد في جانبه ثقبًا فشق إزاره وسدها به، وبقي منها اثنان فألقمها رجليه، ثم قال لرسول الله ﷺ: ادخل، فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه في حجره ونام، فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ، فقال: «**مالك يا أبا بكر؟**» قال: لدغت، فداك أبي وأمي، فتفل رسول الله ﷺ، فذهب ما يجده[٢].

وعندما وصل المشركون إلى الغار قال أبو بكر رضي الله عنه: يا نبي الله، لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا قال: «**اسكت يا أبا بكر، اثنان، الله ثالثهما**»، وفي لفظ: «**ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**»[٣].

هكذا دافع هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه عن النبي ﷺ

عن مالك بن عمير رضي الله عنه وكان قد أدرك الجاهلية قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لقيت العدو ولقيت أبي فيهم فسمعت لك منه مقالة قبيحة فلم أصبر حتى طعنته بالرمح ـ أو حتى قتلته، فسكت عنه النبي ﷺ[٤].

---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٧٧).

(٢) رواه رزين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انظر: «مشكاة المصابيح»، باب [مناقب أبي بكر] (٢/ ٥٥٦) «الرحيق المختوم» ص [١٥٥ـ١٥٦].

(٣) «صحيح البخاري» (١/ ٥١٦- ٥٥٨).

(٤) أخرجه البيهقي (٩/ ٢٧)، انظر «حياة الصحابة» ص [٢٤٧].

هكذا دافع حمزة رضي الله عنه عن النبي ﷺ

هو حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وأسد الله ورسوله لقد مر يومًا أبو جهل ـ عليه لعائن الله ـ برسول الله ﷺ وهو عند الصفا، فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره: من العيب لدينه والتضعيف لأمره، فلم يردّ عليه رسول الله ﷺ ولم يكلّمه، وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ما قاله أبو جهل، وشاء الله تعالى أن يمر حمزة راجعًا من قنص له متوشحًا قوسه، فقالت له المرأة: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفًا من أبي الحكم عمرو ابن هشام، وجده ههنا جالسًا فآذاه وسّبه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف ولم يكلمه محمد ﷺ فاحتمل حمزة الغضب، فخرج يسعى ولم يلتفت إلى أحد حتى أتى أبا جهل ـ وهو جالس في نادى القوم حول المسجد ـ فضربه بالقوس فشج رأسه شجةً منكرةً، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه، أقول ما يقول، فرد ذلك عليَّ إن استطعت، فقام رجال من بني مخزوم لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني والله قد سببت ابن أخيه سبًا قبيحًا.

وثبت حمزة من ساعتئذ على ما قاله، فأسلم وحسن إسلامه، ويومها عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع بإسلام عمه حمزة ـ المعروف بينهم بأنه أعز فتى في قريش[1].

هكذا دافع الأنصار رضي الله عنهم عن النبي ﷺ في غزوة بدر

لما بلغ رسول الله ﷺ خروج قريش استشار أصحابه فتكلم المهاجرون فأحسنوا ثم استشارهم ثانيًا فتكلموا أيضًا فأحسنوا ثم استشارهم ثالثًا. ففهمت

(١) «هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب» ص[٨١]، «نور اليقين» ص[٣٨].

ووقع عند الحاكم في «الإكليل» أنه جرح يوم أحد تسعًا وثلاثين أو خمسًا وثلاثين، وشلت أصبعه، أي السبابة والتي تليها[١].

وفي «صحيح ابن حبان» عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال أبو بكر الصديق: لما كان يوم أحد انصرف الناس كلهم عن النبي ﷺ فكنت أول من فاء إلى النبي ﷺ فرأيت بين يديه رجلًا يقاتل عنه ويحميه قلت كن طلحة فداك أبي وأمي[٢].

وروى البخاري عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء، وقى بها النبي ﷺ يوم أحد[٣]. الله أكبر دافع طلحة رضي الله عنه عن النبي ﷺ حتى قطعت أصابعه وشلت يداه ووجدوا في جسده تسعًا وثلاثين أو خمسًا وثلاثين جرحًا.

فهكذا يكون الدفاع عن النبي ﷺ، وهل هناك دفاع بعد هذا الدفاع.

وعن أنس رضي الله عنه أن أبا طلحه رضي الله عنه كان يرمي بين يدي النبي ﷺ يوم أحد والنبي ﷺ خلفه يترس به وكان راميًا وكان إذا رمى رفع رسول الله ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه ويرفع أبو طلحة صدره، ويقول: هكذا بأبي أنت وأمي يا رسول الله! لا يصيبك سهم! نحري دون نحرك! وكان أبو طلحة يسور نفسه بين يدي رسول الله ﷺ ويقول: إني جلد[٤] يا رسول الله! فوجهن في حوائجك ومرني بما شئت[٥].

لله درهم أي رجال كانوا هؤلاء، وهل نحن رجال أمثالهم؟ عذرًا أيها الحبيب الغالي.

---

(١) المصدر السابق ص[٢٤١].

(٢) «زاد المعاد» (٢/ ١٤٠).

(٣) «صحيح البخاري» (١/ ٥٨١، ٥٢٧).

(٤) جلد: قوي شديد.

(٥) انظر «البداية» (٤/ ٢٧)، «وحياة الصحابة» ص[٢٦٥].

هكذا دافع قتادة بن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن قتادة بن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أهدي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوس فدفعها إليَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد فرميت بها بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى اندقت سنتها[١] ولم أزل على مقامي نصب وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألقي السهام بوجهي كلما مال سهم منها إلى وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ميلت رأسي لأقي وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلا رمي أرميه[٢].

هكذا دافع معاذ ومعوذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت، فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سرًا من صاحبه: يا عم، أرني أبا جهل، فقلت: يا بن أخي، فما تصنع به؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك قال: وغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه، قال: فابتدراه فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**أيكما قتله؟**» فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، قال: «**هل مسحتما سيفيكما؟**» فقالا: لا، فنظر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السيفين فقال: «**كلاكما قتله**» وقضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء[٣].

---

(١) سنتها: أي حدها ورأسها.

(٢) أخرجه الطبراني عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه، انظر المصدر السابق ص [٢٦٥].

(٣) «صحيح البخاري» (١/ ٤٤٤/ ٢/ ٥٦٨).

لا عهد لمن يشتم النبي ﷺ

أخرج ابن المبارك عن حرملة بن عمران عن كعب بن علقمه أن غرفة بن الحارث الكندي رضي الله عنه وكانت له صحبة من النبي ﷺ سمع نصرانيًا يشتم النبي ﷺ فضربه ودق أنفه، فرفع إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال له: إنا قد أعطيناهم العهد! فقال له غرفة: معاذ الله! أن نعطيهم العهد على أن يظهروا شتم النبي ﷺ، وإنما أعطيناهم العهد على أن نخلي بينهم وبين كنائسهم يقولون فيها ما بدا لهم وأن لا نحملهم ما لا يطيقون، وإن أرادهم عدوٌ قاتلنا دونهم، وعلى أن نخلي بينهم وبين أحكامهم إلا أن يأتونا راضين بأحكامنا فنحكم فيهم بحكم الله عز وجل وحكم رسوله ﷺ، وإن اغتنوا عنا لم نعرض لهم فقال عمرو: صدقت[1].

هكذا دافع عبد الله بن عبد الله بن أبي رضي الله عنه عن النبي ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مرّ رسول الله ﷺ بعبد الله بن أبي وهو في ظل أطم[2]. فقال: غبر علينا أبن أبي كبشه، فقال ابنه عبد الله بن عبد الله رضي الله عنه: يا رسول الله! والذي أكرمك لئن شئت لأتيتك برأسه؟ فقال: «**لا، ولكن بر أباك وأحسن صحبته**»[3].

وعند الطبراني عن عبد الله بن عبد الله أنه استأذن النبي ﷺ أن يقتل أباه قال: «**لا تقتل أباك**»[4].

---

(١) «الاستيعاب» (٣/ ١٩٣)، وأخرجه البخاري في «تاريخه» عن نعيم بن حماد عن عبد الله بن المبارك عن حرملة باسناده نحوه، وإسناده صحيح، كما في الإصابة (٣/ ١٩٥)، حياة الصحابة للكاندهلوي (٢/ ٢٧٩، ٢٨٠).

(٢) أطم: بناء مرتفع وجمعه اطام.

(٣) قال الهيثمي (٩/ ٣١٨): رواه البزار ورجاله تقات.

(٤) «حياة الصحابة» ص [٢٤٧].

قلت: ونحن منا من يأمره أباه بحلق لحية فيحلقها، فكيف سيدافع مثل هذا عن النبي ﷺ.

هكذا دافع عبد الله بن أنيس رضي الله عنه عن النبي ﷺ

في اليوم الخامس من شهر الله المحرم سنة ٤ هجرية ـ نقلت الاستخبارات أن خالد ابن سفيان يحشد الجموع لحرب المسلمين، فأرسل إليه النبي ﷺ عبد الله بن أنيس ليقضي عليه وظل عبد الله بن أنيس غائبًا عن المدينة ثماني عشرة ليلة، ثم قدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم، وقد قتل خالدًا وجاء برأسه، فوضعه بين يدي النبي ﷺ فأعطاه عصًا وقال: «**هذه آية بيني وبينك يوم القيامة**» فلما حضرته الوفاة أوصى أن تجعل معه في أكفانه[1] قلت: فإن عجزتم أن تأتوا برأس من يسب النبي ﷺ فأحنوا رؤوسكم لسنة النبي ﷺ.

هكذا دافعت أم حبيبة رضي الله عنها عن النبي ﷺ

لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يريد غزو مكة فكلمه أن يزيد في هدنة[2] الحديبية فلم يقبل عليه رسول الله ﷺ فقام فدخل على ابنته أم حبيبة رضي الله عنها فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه فقال: يا بنية! أرغبتي بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك فقال: يا بنية! لقد أصابك بعدي شر[3].

---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ١٥٨).

(٢) الصدنة: الصلح.

(٣) انظر «البداية» (٤/ ٢٨٠)، و«حياة الصحابة» ص[٢٥٠].

هكذا دافع أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه عن النبي ﷺ

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لما كان يوم أحد انصرف الناس كلهم عن النبي ﷺ فكنت أول من فاء إلى النبي ﷺ فرأيت بين يديه رجلًا يقاتل عنه ويحميه، قلت: كن طلحة فداك أبي وأمي، فلم أنشب أن أدركني أبو عبيدة بن الجراح وإذا هو يشتد كأنه طير حتى لحقني فدفعنا إلى النبي ﷺ فإذا طلحة بين يديه صريعًا فقال النبي ﷺ: «**دونكم أخاكم فقد أوجب**» وقد رُمي النبي ﷺ في وجنته حتى غابت حلقة من حلق المغفر في وجنته فذهبت لأنزعها عن النبي ﷺ فقال أبو عبيدة: نشدتك الله يا أبا بكر إلا تركتني، قال: فأخذ أبو عبيدة السهم بفيه فجعل ينضضه كراهة أن يؤذي رسول الله ﷺ ثم استل السهم بفيه فندرت ثنية[1] أبي عبيدة، قال أبو بكر: ثم ذهبت لآخذ الآخر فقال أبو عبيدة: نشدتك بالله يا أبا بكر إلا تركتني، قال: فأخذه فجعل ينضضه حتى استله فندت ثنية أبي عبيدة الأخرى[2]. لله دّره دافع عن النبي ﷺ حتى ندرت ثنيتاه.

هكذا دافع أبو دجانة رضي الله عنه عن النبي ﷺ

قام أبو دجانة أمام رسول الله ﷺ فترس عليه بظهره والنبل يقع عليه وهو لا يتحرك[3].

---

(١) كسرت سنه.

(٢) «زاد المعاد» (٢/ ص/ ١٤٠).

(٣) «الرحيق المختوم» ص[٢٤٣].

هكذا دافع سهل بن حنيف رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم

وكان سهل بن حنيف أحد الرماة الأبطال، بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت، ثم قام بدور فعال في ذود المشركين[١].

هكذا دافع مالك بن سنان
والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

عندما جرح النبي صلى الله عليه وسلم في وجنته سال الدم على وجهه الشريف وجعل مالك بن سنان يمتص الدم من وجنته صلى الله عليه وسلم حتى أنقاه، فقال «**مجه**» فقال: والله لا أمجه، ثم أدير يقاتل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**» فقتل شهيدًا[٢].

هكذا دافع مصعب بن عمير رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم

دافع مصعب بن عمير بضراوة بالغة عن النبي صلى الله عليه وسلم من هجوم ابن قمئة وأصحابه، وكان اللواء بيده، فضربوه على يده اليمني، وصمد في وجوه الكفار حتى قطعت، فأخذ اللواء بيده اليسرى وصمد في وجوه الكفار حتى قطعت يده اليسرى ثم برك عليه بصدره وعنقه حتى قتل، وكان الذى قتله هو ابن قمئة، وهو يظنه رسول الله لشبهه به - فانصرف ابن قمئة إلى المشركين وصاح: أن محمدًا قد قتل[٣] وبعد انتهاء المعركة المريرة وجد جثمان الرشيد راقدًا، وقد أخفي وجهه في تراب الأرض المضمخ بدمائه الزكيه ..

---

(١) «الرحيق المختوم» ص [٢٤٣].

(٢) «الرحيق المختوم» ص[٢٤٣].

(٣)«زاد المعاد» (٢/ ١٣٩).

لكأنما خاف أن يبصر وهو جثة هامدة رسول الله ﷺ يصيبه السوء فأخفى وجهه حتى لا يرى هذا يحاذره ويخشاه..!!

أو لكأنه خجلان إذ سقط شهيدًا قبل أن يطمئن على نجاة رسول الله ﷺ وقبل أن يؤدي إلى النهاية واجب حمايته والدفاع عنه ..!!

لـك الله يا مصعب .. يا من ذكرك عطر للحيـاة ..!![1] قلت: كيف بك يا مصعب لـو أبصرتنـا وقد سُـب حبيبك محمـد ﷺ وقُـذف في عرضه مـن حثالة البشر وسـفلتهم ونحـن جامدون لاحراك لنـا، لكأني بك تقول: هم أهـؤلاء الذين كان يتمنى النبي ﷺ أن يراهم، أحقًا أنتم من أتباع النبي صلى الله ﷺ ؟

هكذا فعلهم رضي الله عنهم بمن يؤذي النبي ﷺ

كان كعـب بـن الأشرف من أشـد اليهـود حنقًا على الإسـلام والمسـلمين، وإيذاءً لرسـول الله ﷺ ، وتظاهرًا بالدعوة إلى حربه كان من قبيلة طيئ ـ من بني نبهان ـ وأمه من بني النضير، وكان غنيًا مترفًا معروفًا بجماله في العرب، شـاعرًا من شـعرائها وكان حصنـه في شرق جنـوب المدينـة خلـف ديـار بني النضـير ولما بلغـه أول خبر عن انتصار المسـلمين، وقتل صناديد قريش في بدر قـال: أحق هذا؟ هؤلاء أشراف العرب، وملـوك النـاس، والله إن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطـن الأرض خير من ظهرها، ولمـا تأكد لديه الخبر، انبعث عدو الله يهجو رسـول الله ﷺ والمسـلمين ويمدح عدوهـم ويحرضهم عليهم، ولم يرض بهذا القدر حتى ركب إلى قريش فنزل على المطلب ابن أبي وداعة السـهمي، وجعل ينشـد الأشعار يبكي فيها على أصحاب القليب من قتلى المشركـين، يثير بذلك حفائظهم، ويذكي حقدهم عـلى النبي ﷺ ويدعوهم إلى حربـه، وعندما كان بمكة سـأله أبو سـفيان والمشركون: أديننا أحـب إليك أم دين محمد

(١) رجال حول الرسول ﷺ ص [٢٧] خالد محمد خالد. .

وأصحابه؟ وأي الفريقين أهدى سبيلًا؟ فقال: أنتم أهدى منهم سبيلًا، وأفضل، وفي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٥١]

ثم رجع كعب إلى المدينة على تلك الحال، وأخذ يشبب في أشعاره بنساء الصحابة، ويؤذيهم بسلاطة لسانه أشد الإيذاء، وحينئذ قال رسول الله ﷺ: «**من لكعب بن الأشرف؟ فإنه آذى الله ورسوله**» فانتدب له محمد بن مسلمة، وعباد بن بشر، وأبو نائلة ـ واسمه سلكان بن سلامة، وهو أخو كعب من الرضاعة ـ والحارث بن أوس، وأبو عبس بن جبر، وكان قائد هذه المفرزه محمد بن مسلمة.

وتفيد الروايات في قتل كعب بن الأشرف أن رسول الله ﷺ لما قال: «**من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد أذى الله ورسوله**» قام محمد بن مسلمة فقال: أنا يا رسول الله، أتحب أن أقتله ؟ قال: «**نعم**» قال فائذن لي أن أقول شيئًا قال: «**قل**» فأتاه محمد بن مسلمة، فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عنانا[1] قال كعب: والله لتملنه. قال محمد بن مسلمة: فإنا قد اتبعناه، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقًا أو وسقين.

قال كعب: نعم، أرهنوني.

قال ابن مسلمة: أيُّ شيء تريد؟

قال: أرهنوني نساءكم.

قال: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟

قال: فترهنوني أبناءكم.

قال: كيف نرهنك أبناءنا فيُسَب أحدهم فيقال: رهن بوسق أو سقين هذا عار علينا ولكنا نرهنك اللأمة، يعني السلاح، فواعده أن يأتيه.

---

(١) أتعبنا.

وصنع أبو نائلة مثل ما صنع محمد بن مسلمة، فقد جاء كعبًا فتناشد معه أطراف الأشعار سويعة، ثم قال له: ويحك يا بن الأشرف، إني قد جئت لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عني، قال كعب: أفعل.

قال أبو نائلة: كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء، عادتنا العرب، ورمتنا عن قوس واحدة، وقطعت عنا السبل، حتى ضاع العيال، وجهدت الأنفس وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا. ودار الحوار على نحو ما دار مع ابن مسلمة، وقال أبو نائلة أثناء حديثه: إن معي أصحابًا لي على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم، فتبيعهم وتحسن في ذلك. وقد نجح ابن مسلمة وأبو نائلة في هذا الحوار إلى ما قصد، فإن كعبًا لن ينكر معهما السلاح والأصحاب بعد هذا الحوار.

وفي ليلة مقمرة ـ ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ٣ هجرية ـ اجتمعت هذه المفرزة إلى رسول الله ﷺ، فشيعهم إلى بقيع الغرقد، ثم وجههم قائلًا: «**انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم**»، ثم رجع إلى بيته وطفق يصلي ويناجي ربه.

وانتهت المفرزة إلى حصن كعب بن الأشرف، فهتف به أبو نائلة، فقام لينزل إليهم فقالت له امرأته ـ وكان حديث العهد بها: أين تخرج هذه الساعة؟ أسمع صوتًا كأنه يقطر منه الدم، قال كعب: إنما هو أخي محمد بن مسلمة، ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دعي إلى طعنة أجاب، ثم خرج اليهم وهو متطيب ينفح رأسه.

وقد كان أبو نائلة قال لأصحابه: إذا ما جاء فإني آخذ بشعره فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه، فلما نزل كعب إليهم تحدث معهم ساعة، ثم قال أبو نائلة: هل لك يا ابن الأشرف أن نتماشى إلى شعب العجوز فنتحدث بقية ليلتنا؟ قال: إن شئتم، فخرجوا يتماشون، فقال أبو نائلة وهو في الطريق: ما رأيت كالليلة طيبًا أعطر، وزهى كعب بما سمع، فقال: عندي أعطر نساء العرب، قال أبو نائلة: أتأذن

لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم، فأدخل يده في رأسه فشمه وأشم أصحابه. ثم مشى ساعة ثم قال: أعود ؟ قال كعب: نعم، فعاد لمثلها حتى اطمأن. ثم مشى ساعة ثم قال: أعود؟ قال: نعم، فأدخل يده في رأسه فلما استمكن منه قال: دونكم عدو الله، فاختلفت عليه أسيافهم، لكنها لم تغن شيئًا، فأخذ محمد بن مسلمة مغولا[١] فوضعه في ثنته[٢] ثم تحامل عليه حتى بلغ عانته فوقع عدو الله قتيلًا، وكان قد صاح صيحة شديدة أفزعت من حوله، فلم يبق حصن إلا أوقد عليه النيران ورجعت المفرزة وقد أصيب الحارث بن أوس بذباب[٣] بعض سيوف أصحابه فجرح ونزف الدم، فلما بلغت المفرزة حرة العريض رأت أن الحارث ليس معهم، فوقفت ساعة حتى أتاهم يتبع آثارهم، فاحتملوه، حتى إذا بلغوا بقيع الغرقد كبروا، وسمع رسول الله ﷺ تكبيرهم، فعرف أنهم قد قتلوه، فكبر، فلما انتهوا إليه قال: «**أفلحت الوجوه**»، قالوا: ووجهك يا رسول الله، ورموا برأس الطاغية بين يديه، فحمد الله على قتله، وتفل على جرح الحارث فبرأ، ولم يؤذ بعده[٤].

هكذا فعلهم رضي الله عنهم بمن يؤذي النبي ﷺ

كان سلام بن أبي الحقيق ـ وكنيته أبو رافع ـ من أكابر مجرمي اليهود الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين، وأعانهم بالمؤن والأموال الكثيرة[٥]، وكان يؤذي رسول الله ﷺ فلما فرغ المسلمون من أمر قريظة استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتله وكان قتل كعب بن الأشرف على أيدي رجال من الأوس، فرغبت الخزرج

(١) المغول: السكين.

(٢) الثنة: ما بين السرة والعانة.

(٣) ذباب السيف: طرفه.

(٤) أخذنا تفاصيل هذه الوقعة من «الرحيق المختوم» ص(٢٢٠/ ٢٢٢)، كما أنها عند ابن هشام (٢/ ٥١-٥٧)، و«صحيح البخاري» (١/ ٣٤١، ٤٢٥، ٢/ ٥٧٧) «زاد المعاد» (٢/ ٩١).

(٥) انظر: «فتح الباري» (٧/ ٣٤٣).

في إحراز فضيلة مثل فضيلتهم، فلذلك أسرعوا إلى هذا الاستئذان، وأذن رسول الله في قتله ونهى عن قتل النساء والصبيان، فخرجت مفرزة قوامها خمسة رجال، كلهم من بني سلمة من الخزرج، قائدهم عبد الله بن عتيك.

خرجت هذه المفرزة، واتجهت نحو خيبر، إذ كان هناك حصن أبي رافع فلما دنوا منه، وقد غربت الشمس، وراح الناس بسرحهم قال عبد الله بن عتيك لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإني منطلق ومتلطف للبواب، لعلي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبد الله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أغلق الباب.

قال عبد الله بن عتيك: فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب، ثم علق الأغاليق على ود[1] قال: فقمت إلى الأقاليد فأخذتها، ففتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده، وكان في علا لي له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه، فجعلت كلما فتحت بابًا أغلقت عليَّ من داخل قلت: إن القوم لو نذروا بي لم يخلصوا إليَّ حتى أقتله، فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت قلت: أبا رافع، قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنيت شيئًا، وصاح، فخرجت من البيت، فأمكث غير بعيد ثم دخلت، فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الويل، إن رجلًا في البيت ضربني قبل بالسيف قال: فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ثم وضعت ضبيب السيف[2] في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب بابًا بابًا حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي، وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمره، فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته؟

(١) أي علق المفاتيح على وتد.

(٢) ضبيب السيف: حده.

فلما صاح الديك قام الناعي على السور، فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي، فقلت: النجاء فقد قتل الله أبا رافع فا نتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال: «**ابسط رجلك**» فبسطت رجلي فمسحها فكأنما لم أشتكها[1].

هكذا دافع أبو بكر الصديق والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ

جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت. قال رسول الله ﷺ: «**إننا لم نجيء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وإن قريشًا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاؤا ما ددتهم ويخلوا بيني وبين الناس وإن شاؤا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا وإن هم أبوا إلا القتال فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله أمره**» قال بديل: سأبلغهم ما تقول فا نطلق حتى أتى قريشًا فقال: إني قد جئتكم من عند هذا الرجل وقد سمعته يقول قولًا فإن شئتم عرضته عليكم: فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تحدثنا عنه بشيء، وقال ذو الرأي منهم: هات ما سمعته، قال: سمعته يقول كذا وكذا فقال عروة بن مسعود الثقفي: إن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فا قبلوها ودعوني آته، فقالوا: ائته، فأتاه فجعل يكلمه فقال له النبي ﷺ نحوا من قوله لبديل فقال له عروة عند ذلك: أي محمد أرأيت لو استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك وإن تكن الأخرى فوالله إني لأرى وجوها وأرى أوشابًا من الناس خليقًا أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر أمصص بظر اللات أنحن نفر عنه؟ قال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيديه لولا يد كانت لك عندى لم أجزك بها لأجبتك، وجعل يكلم النبي ﷺ وكلما كلمه أخذ

(١) الرحيق المختوم (ص ٢٨٢)، أصل القصه عند البخارى (٢/ ٥٧٧).

في مدينة النبي ﷺ ليس له غيرك، اخرج الآن للمدينة المنورة، واكتم ما رأيت فتجهز بقية ليلته، وخرج على رواحل[1] في عشرين رجلًا، ومعه الوزير ومال كثير، وقطع المسافة من الشام إلى المدينة في ستة عشر يومًا، وصلى في الروضة وزار، ثم جلس لا يدري ماذا يصنع، فقال الوزير: أتعرف الشخصين إذا رأيتهما؟، قال: نعم، فقال الوزير لأهل المدينة، وقد اجتمعوا في المسجد: إن السلطان معه أموال كثيرة للصدقة فاكتبوا الذين عندكم من المحتاجين، وأحضروهم، وكل من حضر يأخذ نصيبه، وكان السلطان يتأمل الذين يحضرون فلم يجد فيهم أحدًا صفته صفة الشخصين اللذين رآهما في المنام.

فقال السلطان: هل بقي أحد لم يأخذ؟ فقالوا: لم يبق أحد إلا رجلين مغربين لا يتناولان شيئًا، وهما صالحان فقال: عليّ بهما، فأحضرا، فإذا هما الرجلان اللذان أشار إليهما النبي ﷺ في المنام.

فقال لهما: من أين أنتما ؟ فقالا: إننا من المغرب، جئنا حاجين واخترنا المجاورة هذا العام، فقال لهما: اصدقاني، وقررهما، فأصرا على كلا مهما. فتركهما وذهب إلى محل سكناهما مع بعض أهل المدينة، فوجدوا مالًا كثيرًا، ومصحفين، وكتبًا فوق الرف، ولم يجدوا شيئًا آخر، وجعل السلطان يطوف بالمحل، ثم ألهمه الله فرفع فراشًا في المحل، فوجد تحته لوحًا من الخشب، فوجد السرداب محفورًا ومتجهًا للحجرة الشريفة، ومخترقًا جدار المسجد.

فذهل أهل المدينة، وكانوا يعتقدون فيهما الصلاح والتقوى، فضربهما السلطان ضربًا مبرحًا شديدًا، فاعترفا أنهما نصرانيان، بعثهما ملوك النصارى في زي حجاج مغاربة، وأملوهما بأموال عظيمة، وأمروهما بالتحيل في إخراج النبي الكريم من قبره، ونقله إلى بلادهم.

---

(١) الرواحل: جمع راحلة، وهي الناقة المحملة للسفر .

فلما ظهر حالهما، واعترفا بجريمتهما، أمر السلطان بضرب عنقيهما عند الشباك، شرقي الحجرة الشريفة، ثم أحرقا آخر النهار بالنار، ثم أمر السلطان نور الدين بحفر خندق حول الحجرة إلى الماء، وأمر بإحضار رصاص كثير، فأذيب وصب في الخندق حتى ملأه ثم عاد إلى بلاد الشام[١].

هكذا دافع السلطان صلاح الدين الأيوبي؛ عن النبي ﷺ

نذر السلطان صلاح الدين دم «البرنس أرناط» صاحب الكرك إن ظفر به، وسبب ذلك: أنه كان عبر به «بالشوبك» قفل من الديار المصرية في حالة الصلح، فنزلوا عنده بالأمان فغدر بهم وقتلهم، فناشدوه الله والصلح الذى بينه وبين المسلمين، فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبي ﷺ، وقال: قولوا لمحمد: لِمَ لَمْ يخلصكم؟! وبلغ ذلك السلطان فحمله الدين والحمية على أنه نذر إن ظفر به قتله، فلما فتح الله عليه بالنصر والظفر، جلس في دهليز الخيمة، فإنها لم تكن نصبت بعد، والناس يتقربون إليه بالأسارى وبمن وجدوه من المقدمين، ونصبت الخيمة وجلس فرحًا مسرورًا، شاكرًا لما أنعم الله به عليه، ثم استحضر الملك جفري وأخاه والبرنس أرناط، وناول الملك شربة من حلاب مبرد بثلج، فشرب منها، وكان على أشد حال من العطش، ثم ناول بعضها البرنس، فقال السلطان للترجمان: قل للملك: أنت الذى سقيته وإلا أنا ما سقيته، وكان على جميل عادة العرب وكريم أخلاقهم أن الأسير إذا أكل أو شرب من مال من أسره أمن فقصد السلطان بذلك: الجري على مكارم الأخلاق، وأقعد الملك في الدهليز واستحضر البرنس، وواقفه على ما قال، ثم قال له: ها أنا أنتصر لمحمد ﷺ ثم عرض عليه الإسلام، فلم يفعل، فقام إليه وسل المجناة وضربه بها، فحل كتفه، وتمم عليه من حضر، ثم رمي على باب الخيمة[٢].

---

(١) «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (٤/ ٢٢٨)، و«رأيت النبي» ص (٨٧-٨٩).

(٢) انظر: «عيون الروضتين» (٢/ ١٣٦-١٣٩) و«البداية والنهاية»، و«صلاح الأمة في علو الهمة» (٤/ ٩٩).